الخيال الديالكتيكي لمدرسة فرانكفورت (ترجمة)

د. احمد عطار
مخبر: "الفينومينولوجيا وتطبيقاتها"
جامعة تلمسان

مقدمة

جاء في تقديم ماكس هوركهايمر لكتاب:"مارتن جاي" الخيال الديالكتيكي لمدرسة فرانكفورت ما يلي:

{لقد طُلب مني أن اكتب تقديما لكتابكم الذي يحوي تاريخ "معهد البحوث الاجتماعية لفرانكفورت" وبعد أن طالعت عملكم عرفت أهميته ووجدت أنه من المستحيل رفض طلبكم، رغم تدهور صحتي التي لم تسمح لي إلا بكتابة هذه الرسالة القصيرة ، أريد في البداية أن أشكركم جزيل الشكر على هذا العمل البحثي الرائع الذي يظهر في كل فصل من فصوله أشياء دقيقة سقط الكثير منها في النسيان لولا عملكم.

فنجد مثلا ذكركم الأعمال التي سُخر لأجلها المعهد قبل نفيه من ألمانيا وأستحضر هنا كتاب "فريديرك بلوخ": (Friedrich Pollock) "حول تجارب التخطيط الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي" المنجز بين عامي 1917-1927، والعمل الجماعي حول:"العائلة والسلطة"،قدر له الظهور فيما بعد والذي يُقدم الإضافة والجديد للنظام التربوي السائد آنذاك، فلقد فتح ذلك إمكانية الاشتغال على مواضيع ما كان بالإمكان معالجتها في الجامعة، وإذا كان المعهد قد توج بالنجاح فيعود الفضل إلى"**هيرمن فايل**" ومساعدة ابنه "**فليكس فايل**"** فلقد أوجد مجموعة من الأفراد لهم مصلحة مشتركة في العمل على "**النظرية الاجتماعية**"عبر تخصصات جامعية مختلفة، ليعطي معنا لهذه المحاولة النقدية في مرحلة من التحول لمسيرة هؤلاء الجامعيين، الذين كان يجمعهم النظرة النقدية للمجتمع القائم.

ففي نهاية سنوات العشرينات وبداية الثلاثينات أصبحت لدينا قناعة أننا مقبلون على انتصار الاشتراكية الوطنية (النازية)، وانه لا يمكن مجابهة مثل هذا الموقف إلا عبر الفعل الثوري.الذي

كان محتما في الأخير أن تجابه حرب عالمية،الأمر الذي لم نكن نتوقعه في تلك الفترة. وكنا نتصور انه ستكون هناك انتفاضة ماركسية في بلدنا،وهذا كان سببا كافيا لان يعطي للماركسية حيزا مركزيا في تأملاتنا ، وحتى بعد مرحلة نفينا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرورا "بجنييف" (سويسرا)كانت ما تزال قناعتنا بالتفسيرات الماركسية للظواهر وللحياة الاجتماعية متواصلة وتلعب دورا هاما أساسيا في تأملاتنا وفي نفس الوقت لا يعني هذا أبدا أن يكون لهذا التأمل في المادية الدغمائية من تأثيرا على خصوبة أفكارنا ومواقفنا،فالتأمل في مثل تلك الأنظمة السياسية كون لنا مناعة في عدم تمثلها، وكما يقول "**تيودور أدورنو**"(1903-1969)(Theodor Adorno):«يجب الشك في كل ادعاء بالاطلاقية، دون أن نتراجع كذلك في أي حالة من الحالات عن وجود مفهوم صارم للحقيقة».خلف هذا الطموح في أشياء مختلفة وعالم مغاير لعالمنا المعطى، كانت هناك كذلك دوافع مرتبطة ببحوث فلسفية اجتماعية وسياسية، وكان هذا يجب أن يقودنا في الأخير إلى تقييم أكثر ايجابية لبعض التيارات الميتافيزيقية ذلك لان: (الكل التجريبي الواقعي ليس هو الحقيقي) كما يقول:"**أدورنو**"الأمر الذي أحيا فينا الأمل وجعلنا نعتقد أن الرعب الأراضي لن تكون له الكلمة الأخيرة، ولن يكون إلا تجربة لذة زائلة غير علمية.

بالنسبة للمنتمين للمعهد في كل فترة من فتراته* واخص بالذكر هنا الأحياء منهم سيكونون ممتنين لجهدكم لأنهم سيجدون في هذا الكتاب تأريخا لأفكارهم، ولكن كذلك باسم المتوفيين أمثال: "فريد بلوخ" (1894-1970)، "تيودور أدورنو"(1903-1969)، "فلتر بنيامين"(1892-1940)، "فرانز نومان"(Franz Neumann) (1900-1954)، و"اوتو كيرشهايمر"** (1905-1965) (Otto kirchheimer)باسم هؤلاء كذلك أتقدم لكم بالشكر عزيزي:"**جاي مارتن**"وامتناني وغبطتي لهذا العمل.

"مودتي القلبية"

"**ماكس هوركهايمر**" مونتاغنول سويسرا عام 1971}[i]

تقديم

أصبح الحديث عن المثقف بازدراء من الأمور العادية في عصرنا، باعتباره كائنا مهمشا وغير قادر على التكيف، ولم تصبح هذه الصورة مقبولة وحسب إنما شائعة بين الكثيرين، ومعتادين على النظر إليه "بغرابة" ونفور.هذا فيما يخص المثقف أما الثقافة فإن كلمة:"**الاغتراب**"* (aliénation) تكاد تكون سمتها وتم استعمالها بكثرة في الآونة الأخيرة ويتراوح استعمالها من: معنى صعوبة الهضم وصولا إلى خلخلات في الميتافيزيقا، لقد أضحت التعبير الأكثر شيوعا في عصرنا. وبسببه أصعب على الملاحظين أصحاب النظرات الثاقبة التمييز بين الحقيقي والصوري، أما عند شريحة كبيرة من المتبصرين القلقين والقادريين على التنبؤ بمخلفات الاغتراب فإنهم يرون أن موضوع الاغتراب يتحول إلى سلعة تجلب أرباحا هائلة في السوق الثقافية. فعلى سبيل المثال سقط "الفن الحداثي" في براثن الاغتراب، فإضافة إلى تشذره ورزوحه تحت الأثقال، أضحى كذلك حقلا خصبا لاستثمار الطامعين في تحويل أي عمل فني يرونه إلى سلعة، ذلك لأنه سلعة تجارية مربحة ويعتبر قاعدة تغذي عدد كبيرا من المستهلكين الثقافيين. أما بخصوص الطلائعيين**(l'avant-garde) إذا أمكن اليوم استعمال مثل هذا المصطلح الذي يثير عند الكثيرين السخرية والاستهزاء فلم يعد يخيف ولا يشرف، لنأخذ مثالا آخر، **الفلسفة الوجودية*** التي كانت تعطي لنا متنفسا لجيلنا لقد تم هضمها اليوم وبلعها لدرجة أضحت دمية يتم تحريكها بسهولة فتنط بحركات حزينة وفارغة.

يجب الإشارة إلى أن هذا الانهيار لا يعود مثلا إلى نتائج **الفلسفة التحليلية*** بل الأمر يعود أكثر إلى طبيعة هذه الثقافة السحرية التي لها القدرة على إفراغ المعارضين لها الأكثر عنادا.

وفي الأخير لتقديم مثال ثالث فمن البديهي اليوم 1972 أن نستذكر انه منذ سنوات قليلة خلت كان قد ولد مفهوم **الثقافة المضادة****(contre-culture) ولم يكتب لهذا المولود الحياة فلقد قتل في مهده ولو عاش لكان بإمكاننا اليوم إخراج الثقافة بسهولة من مأزقها بواسطة التقاليد الرائعة التي عشناها منذ مدة ليست بالبعيدة. وهذا يدل على أن المثقفين الجديين الذين يزاولون عملهم النقدي يجدون

صعوبة بالغة تتزايد باطراد بسبب قدرة هذه الثقافة على لجم اعتراضاتهم عليها ومن بين ردود الفعل التي ينجر عن قتل الاعتراض الهروب نحو التعصب الثقافي والرغبة في الاصطدام وإثارة بأي ثمن بالذهاب إلى ما بعد الحدود المعروفة للتسامح الثقافي.فهذه الحدود عرفت تمددا أكثر مما كانت عليه سابقا، والمهدئات أصبحت سخيفة وغير ممكنة في المنظور القادم.

ظهر مجموعة من المثقفين النقديين الواعيين بقصور الحلول الثقافية المتوفرة وعدم ديمومتها جعلتهم يبحثون عن امتدادات سياسية لاحتجاجاتهم الثقافية. فالحركات السياسية المتطرفة (اليسارية في العادة وهو أمر له دلالاته) ما تزال إلى يومنا كعادتها منذ القدم تجذب إلى صفوفها مثقفين غير راضيين. لكن رأينا كذلك إن هذا التحالف قلما كان سهلا، خاصة عندما نعرف أن حقيقة الحركات اليسارية تتغير ريثما تصل إلى السلطة فتصبح أكثر انفتاحا. ومن تيجة لذلك نجد التردد الذي يعاني منه "المثقف الثوري" من الانخراط أو الإحجام عن الأحزاب اليسارية، الأمر الذي أضحى حدثا عضوي في تاريخ النخب الحديث.

لكن خلف عدم الاستقرار هناك معضلة أخرى أساسية يتوجب على مثقفي اليسار مواجهتها، أنهم: **النخبويون**(l'élitisme) المتعصبون أولئك الذين لا يستطيع أبدا تجاوز حدود الفضاء الثقافي، رافضين كل انخراط سياسي موازي لاهتمامهم المعرفي دون أن يشعروا بأي ذنب. لكن بالنسبة للمثقف الثوري الذي يقرر الانخراط في الشأن السياسي، فإنه يعاني من معضلة خاصة في محاولته للإبقاء على مسافة نقدية.فهو لا يجد هويته داخل المجتمع الذي يعيش فيه وليس هذا وحسب ولكن ذلك في الحركة السياسية التي يطمع أن ينتصر معها، وهذه المعضلة نجدها عند كل مثقف يساري جاد.

إن الهدف من "النقد الذاتي"[ii] هو القضاء على كل بقايا النخبوية التي ميزة"اليسار الجديد"* في السنوات الأخيرة، الذي يدل على استعصاء المشكل.في أسوء الحالات يأخذنا النقد الذاتي إلى نوع من تخفيض عاطفة"**الحنين إلى الطين**" nostalgie) (de la boue *، ويمكن له كذلك أن يأخذنا في أفضل الأحوال إلى مجهود جاد وضع توافق بين النظرية والتطبيق، مما يحقق الحظوظ

الحقيقية لمثل هذا التوحد في عالم أفضل.

ولكن ما ننساه دائما عندما نريد أن نقصي أو نلغي يمكن أن يكون هناك تناقض جوهري في تجربة "المثقف المناضل" وذلك أن المثقفين مهما فعلوا هم دائما فعالين في التاريخ حتى وإن كان ذلك بمعنى خاص.

إن المثقف دائما "**ملتزم**" engagé في فعلا رمزي، مما يدخل برانية (خارجانية) extériorisation فكره بأوجه متعددة.

إلا إذا كانت أفكارهم كانوا قد اتصلوا اتصالات بأشخاص آخرين بواسطة طريقة أو أخر لإفراد (الذين لديهم أفكار) .إن المثقفين يجب أن يتنبهوا {يتحلوا بشرف عدم اخذ أفكار الآخرين} .إن الموقف النقدي في حياة المثقف يعود فيه الجزء الأكبرإلى هذه المسابقة التي تفصل الرمز وما يمكن أنتسميه في احسم الأحوال الواقع. وبشكل متناقض فإن محاولتهم أن يكون ذواتهم فإنهم يعرضون فكرهم لان يملئ الخندق ويخاطرون بضياع أفقهم النقدي الذي كان ذواتهم فإنهم يعرضون فكرهم لان يملئ الحندق ويخاطرون بضياع أفقهم النقدي الذي كان يمكنهم من الإبقاء على هذه المسافة. إن ما شيدوه في العادة ما هو إلا نوعية كتيهم التي تهضم الدعاية (الباراباغوندا).

إن المثقف النقدي (l'intellectuel critique) يصبح حين يقل معناه الملتزم حين ينخرط في الأحزاب على عكس حالة ارتباطه بشكل صارم بوظيفته. وكما يقول الشاعر "يات"[iii]«على وعي الإنسان الاختيار بين الإتقان في الحياة أو الإتقان في الكتابة»،فإن المثقف الثوري يتماهى كثيرا أو بشكل مطلق مع قوى التغيير الشعبي ففي مجهوده للمغادرة النهائية لبرجه العاجي، فإنه يخاطر بقوة أن لا يتقن أيا من هذين المهمتين .فبين "شيلدا" التضامن الأعمى و"شريبد"** العزلة العنيد يجب عليه أن يجد طريقا أو سيخسر. فإلى أي درجة تكون هذه الطريق الوسط محفوفة بالمخاطر إن هذه هي من أهم الدروس الأساسية التي يمكن أن نستقيها من تجربة المثقفين الثوريين الذين سنخط تاريخهم هنا.

ذلك لأنه يمكن لنا أن نجد في تاريخ ما يسمى:"مدرسة فرانكفورت" التي تحتوي على بعض أعضاء معهد البحوث الاجتماعية

[iv] InstitutfürSozialforschung (If

البعض منهم يعكس صورة الحقيقة

للمعاناة التي يواجهها مثقفو اليسار لعصرنا بامتياز.وسيصبحون من المثقفين الذين القلائل الذين يتمكنون بوضوح من مواجهة الألاعيب الخبيثة للسلطة وللثقافة المهيمنة مقارنة من بعض المدعيين مواجهتهما.وفي طول تاريخ أعضاء المعهد نجد مقاومة خوفا من السقوط في حبائل هذه الأشباح.وخاصة في المرحلة الممتدة بين 1932-1950.

وحتى إذا كانت الظروف التاريخية لم تجبرهم على النفي إلا بعد سنة 1933 في الموجة الكبيرة للهجرة إلى وسط أوربا ما بين الحربين العالميتين،فإنهم كانوا قبل ذلك منفيين وسط العالم الذي كان يحيط بهم بمجرد انضمامهم إلى المعهد.ورغم ذلك لم يتذمروا من ذلك الوضع*.أنهم قبلوا البقاء أعضاء في المعهد حتى ولو بشكل تطوعي، كتعبير عن نضجا الفكري لا غنى عنه.

وعبر رفضهم العنيد من قبول أي معوق يوقف نشاطهم النظري ، وعدم تخليهم عن أهمية البحث في "**الفاعل الاجتماعي**" مما سمح لأفكارهم في أن تتجسد، بذلك واجه أعضاء مدرسة فرانكفورت نفس المشاكل التي سيعاني منها بعد سنوات جيل جديد من المثقفين الملتزمين.إن المجهود الجماعي الذي أنجز في السنوات الأولى كان بلا شك من الأسباب الأساسية التي استهوه و جذبت أعضاء"اليسار الجديد" في أوربا ما بعد الحرب، وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية. منذ زمن طويل نفذت المطبوعات المقرصنة لأعمال المعهد التي كانت منتشرة في الأوساط الطلابية الألمانية ولعل هذه الأرضية السابقة هي التي مهدت للاهتمام بالمعهد بعد عودته إلى ألمانيا سنة 1950. لقد كان الجميع ينتظر بشغف نشر المحاولات الأولى المطبوعة بلسان حال المعهد: مجلة البحوث الاجتماعية (Revue de Recherches Sociales) وهذا الطلب سيدفع إلى نشر بعض المقتطفات خلال الستينات مثل: "الثقافةوالمجتمع" "لهربرت ماركيوز"[v] و"النظرية النقدية" "لماكس هوركهايمر"[vi] التي جاءت لتضاف إلى مقتطفات مختلفة منشورة من قبل لأعضاء المعهد، "كتيودور أدورنو" و"ليو ليفينتال" و"فلتر بنيامين" و"فرانز نومان"[vii].ورغم أني لن أسهب في تاريخ المعهد بعد عودته إلى ألمانيا، فرغم ذلك يجب الإشارة أن هذه الاهتمام الجديد بالمعهد كان قد آثاره من قبل وبشكل كبير الإشهار المقدم للمؤلفات المنجزة في

مرحلة مظلمة وقريبة في الربع الأول من القرن لتاريخ المعهد.

ليس من الصعب فهم لماذا لم يهتم أيشخص من قبل لم يرسم هذا التاريخ. إن عمل مدرسة فرانكفورت يهتم بقطاعات جد مختلفة لدرجة الشمولية لكل المواضيع المعالجة تفرض بدورها عمل مجموعة تحتاج هذه المواضيع فرقة من الاختصاصيين عمليا من كل التخصصات من علم الموسيقى (Musicologie) إلى علم الإشارات (Sinologie). باختصار كانت المواضيع لشساعتها تحتاج إلى مدرسة فرانكفورت أخرى....إن الأخطار التي تثير انتباه المؤرخ المعزول تصبح جد بديهية لدرجة أنها كانت تجعلني أتردد أكثر من مرة في الخوض في مثل هذا المشروع. لكن وبمجرد اتخذت القرار، فانغمست بشكل كلي في عمل المعهد، واكتشفت أن سلبيات غياب متخصصين في هذا أو ذاك التخصص كانت تعوض بوجهة النظر العامة التي كانت تؤمنها لي بحوثي.الآني كنت أبدا افهم أن هناك في العمق انسجام في فكر مدرسة فرانكفورت، وهو انسجام يمكن أن نراه تقريبا في كل ما تم انجازه، في القطاعات الأكثر تنوعا.ويمكن أن اعرض ولو بشكل متسرع دراسات خصائص "**السادومازوحية**"(sadomasochist)* عند "إيريك فروم" (Fromm) المرتبطة بتحليلات الكتابات الرومانسية النرويجية ل:"كنيت هامسن" (KnutHamsun) عند "ليو ليفينتال"، كلها تضيء بعضها بشكل متبادل، ويظهر النقد "سترافينسكي" (Stravinsky)عند "أدورنو" مرتبط بعناية مع دحض "الأنثربولوجيا الفلسفية" عند "شيلر" من طرف "ماكس هوركهايمر"، فمفهوم المجتمع أحادي البعد(Unidimensionnelle) "لهابرت ماركيوز" كانت مؤيدة من طرف نموذج رأسمالية الدولة "لفريديرك بلوخ" ، وهكذا دواليك. بل لقد اكتشفت انه حتى حين يكون هناك صراع بين الأعضاء بسبب بعض المشاكل، بين "فروم"و"هوركهايمر" مثلا، أو بين "بلوخ" و"نومان"، فإن كل طرف يستعمل نفس المعجمية (Vocabulaire) المشتركة ويحيل إلى مسلمات أقل أو أكثر ما يقال عنها إنها مشتركة من الجانبين.فمحاولة إعطاء نظرة شاملة لتطور معهد البحوث الاجتماعية هي شرعية، حتى وان كان تناولنا سطحي لبعض النقاط .

و بشكل أخر يظهر لي أن عامل الزمن كان حاسما هنا. لان بعض أعضاء المعهد كانوا قد اختفوا على سبيل المثال: "**فرانز نومان**"، "**فالتر بنيامين**"، "**اوتوكريشتهايمر**"، و"**هنري كغروسمان**"*، كي لا اذكر إلا الشخصيات البارزة لان البعض الأخر كانوا ما يزالون على قيد الحياة، ووصلوا في مسارهم إلى درجة من الرؤية الشاملة الهامة لكامل الجهد لرسم تاريخهم، ولقد استقبلوا بحثي حول تاريخ المعهد بحفاة فائقة. وسأذكرهم في نهاية العمل اعترافا بفضلهم وما كان لعملي أن يتم لولاهم[viii].

رغم المساعدة التي قدموها لنا لإعادة بناء ماضي "المعهد"، يجب أن لا يفهم أن نتيجة عملنا هو: تاريخ: "**رسمي**" من نوع ما. في الحقيقة كانت هناك أحيانا وجهات ونظر مختلفة لدرجة كبيرة وأحداث وأحكام تصل إلى نقطة التناقض (التفاوت) على قيمة كل منها بين الزملاء السابقين في المعهد، فوجدت نفسي في مرات عديدة في موقف المشاهد للفلم الياباني: "**راشومون**"(**Rashomon**)* دون أن أتمكن من معرفة ما هي وجهة النظر التي يجب أن اختارها.جاء الاختيار في الأخير لجانب لن يرض دون شك (الرغبة في الوصول) للوصول إلى اكبر قدر ممكن من المراجعات حول كل النقاط الإختلافية لبلوغ معطيات مقنعة. ويجب الإشارة إلى أن حكمي حول قيمة عمل المعهد لا تتفق حتما مع أعضاء"المعهد".ورغم امتناني واعترافي لمجهود اتهم، لكن يجب الاعتراف أن ذلك لا يعني عدم توجيه النقد عندما يتطلب الأمر ذلك. وحتى للإبقاء على الروح النقدية للمعهد.والنقد تشريفا غير متناهي ومستحق وأفضل من القبول ألا مشروط بكل ما كتب أو عمله "المعهد". عند هذه النقطة لم اقبل إلا الحدود التي تفرضها اللياقة وتفرض عدم التصرف. فمثلا: لقد ذكرت تفاصيل المراسلات بين "**هوركهايمر**" و"**ليوليفينتال**" إلا في الحالات الخاصة، ذلك لأنهما كانوا أحيانا يتحفظون بطبيعة الحال عن نشر أشياء قد تسبب إحراج لأناس أحياء.هذا النوع من التحفظات التي فرضت علينا إلا في حالات معينة هي السلبية الوحيدة التي منعتني من أن اكتب بدقة عن أشخاص ما يزالون على قيد الحياة.فنادرا ما يساءل المؤرخ موضوعه بشكل مباشر، كما فعلت.

وتمكني من ذلك علمني الكثير من الأشياء التي ما كان بالإمكان معرفتها بالوثائق فقط ، ولو لا أني دخلت في علاقة مباشرة مع بعض الأحياء من أعضاء المعهد ما أمكنني الاطلاع على رأيهم في تجربة "**النفي**"* التي عايشوها كمثقفين.ورغم أن نصي هدفه هو التأريخ لأفكار"مدرسة فرانكفورت" فإني أتمنى أن أكون قد أشعرت في حدود معينة ماهية هذه التجربة (النفي) وعلاقتها بالأفكار لما فيها من ايجابيات والسلبيات، فنحن هنا أمام تجربة خاصة لجيل رائع له أهمية تاريخية فائقة والذي أصبح اليوم ينتمي إلى الماضي.**

كلمة شكر

إن أجمل اللحظات التي عشتها في تحرير كتاب: ""الخيال الجدلي" كانت في تمكني من إجراء لقاءات مع أناس لعبوا دورا هاما في تاريخ مدرسة فرانكفورت. وكانت آراؤهم بين النقد والدفاع من الجانب التاريخي للمدرسة وعلى جانب الكتب المنجزة على المستوى الفكري ذلك أن هذين المؤشرين كان لهما دائما التناقض الدائم.لقد تكلمت كثيرا مع هؤلاء وهؤلاء وحان الوقت لأعبر عن غبطتي بشكل مكتوب.كما اغتنم هذه الفرصة لأشكر كل الأصدقاء أساتذة وزملاء الذين ساعدوني بطريقة أو بأخرى في كل مرحلة من مراحل تحضير الكتاب.

من بين الأعضاء القدماء للمعهد الذين منحوني شرف لقائهم كان "ماكس هوركهايمر"(1895-1973)و"هربرت ماركيوز" (1898-1978)و"تيودور أدورنو" (في وقت قصير قبل وفاتهخلال صائفة 1969) و"إيريك فروم" (1900-1980) و"كارل اوغست فيتفوفل" و"بول ماينغ" و"ارنست شافتل" و"اولقا لنج"و"غراهردماير" و"م.ا.فينلي" و"جوزيف واليس ماير"*. علما أن "هوركهايمر"و"ماركيوز" و"وفروم" و"فيتفوفل" وقد كلفوا انفسهم عناء إعطاء ملاحظات في بعض جوانب المخطوطة (المسودة)- التي قدمتها لجامعة "هارفرد" كأطروحة دكتوراه في التاريخ-عند الانتهاء منها.

كما أن هناك أعضاء متأخرين منتمين لمدرسة فرانكفورت مثل: "يورغن هابرماس"(1929)و"البر ختو فيلمر"1933 (Albercht Wellmer) و"الفريد شميت" (1931-2012) (Alfred Schmidit) وافقوا كذلك على الإجابة عن بعض أسئلتي. رغم انه لم يكن لنا فرصة للقاء، ولقد تبادلت مع "**فليكس فايل**الابن"(ت 1975)

مراسلات ضخمة ومليئة حول بعض جوانب حياة المعهد منذ النشأة التي لعب فيها دورها هاما. تعليقاته حول بعض الجوانب المعهد كانت بالنسبة لي جد هامة، وحتى إن كانت تفسيراتنا حول بعض النقاط متعارضة.مراسلاتي مع "**غريتل ادورنو**"* (Gretel Adorno)(1902-1993) و"**غلديس مايير**"(Gladys Meyer)كانت كذلك جد نافعة لي.

وهم ثلاث شخصيات أساسية في تاريخ المعهد والذين كان تعاونهم معي أكثر مما كنت أتخيل.قضى "فريديرك بلوخ" (1894-1970) معي ساعات رائعة "بمنتاغونال" (سويسرا) في باريس 1969 بحواره معي أعطى الحياة لحقبة تمتد لخمسين عاما للاشتراك في قضايا المعهد. وبعد عودتي إلى"كمبريدج"أبقينا على المراسلات حية ترتبط مع تقدم مع كل مرحلة من مراحل تقدم بحثي.وتفضل بالتعليق بعناية الفصول التي أرسلتها له قبل وفاته سنة 1970. لقد كان مرتبطا عاطفيا بالمعهد وكل ما أنجزه لدرجة أني تأسفت بعمق بأنني لم أتمكن من إعطاءه المسودة النهائية لعملي.

"ليو لفينتال" (1900-1993) كان من بين أوائل أعضاء مدرسة فرانكفورت الذي كان لي الفرصة للتحاور معه في بداية أبحاثي. في "بركلي" بغضون صيف 1968 وقد منحني بكل سخاء وقته ووثائقه تحت تصرفي وبصبر،أضاء لي فحوى مراسلاته مع "هوركهايمر" التي كان بالإمكان أن تهرب مني. وفي غضون السنوات اللاحقة واصل متابعة باهتمام حيوي عملي ومثل "بلوخ" قرأ أول مسوداتي لكل فصل من الفصول قراءة متأنية التي مكنته من إعطاء ملاحظات دقيقة وثاقبة. ولو أن تأويلاتنا لبعض النقاط كانت متعارضة في بعض الأحيان ومع ذلك لم يفرض عليا أبدا وجهة نظره .منذ قدومي "لبركلي" لم يتوقف أبدا عن مساعدتي ونصحي وطيلة تحرير مسودتي. كان لبحثي السبب في معرفة شخصه وصداقته التي اعتبرها من الأمور الأعلى قيمة.

شجعني "بول لازارفالد"-1901) (Paul Lazarsfeld)1976) دائما ومنحني نصائحه قيمة في طيلة مشوار عملي. رغم انه لم ينتمي لنواة المعهد إلا انه كان من المهتمين بعملهم وكان يشارك بطريقة مباشرة وغير مباشرة في قضاياهم منذ سنوات الثلاثينات. ولقد وضع في خدمتي وثائقه والرسائل التي احتفظ بها منذ تلك الفترة. كما أن

المسافة النظرية التي وضعها بينه وبين مدرسة فرانكفورت منحتني فرصة في تدارك النقائص النظرية لدراستي.

وأخيرا وباختصار إن الدين الهائل الذي احمله لأعضاء المعهد خاصة الأحياء منهم. والعلامة الأبرز كانت تكرم الأساتذة"هوركهايمر" بمنحي تقديما للكتاب رغم مرضه العضال.

كما أن الدين الذي احمله لكل الذين ساعدوني في انجاز هذا الكتاب لهو دينا كبير جدا. ومن بين أساتذتي القدماء يجب أن اذكر على وجه التحديد المشرف على أطروحتي "هنري ستوارت هيغس" (H.Stuart Hughes)*لما قدمه لي من عناية وتوجيه خلال عملي.وأنا ممتن كذلك ل"فريتز رنجر"(Fritz K.Ringer) الأول الذي أوحى لي بالعمل على التاريخ الفكري للمعهد الألماني واشكره على دقة نقد مسودتي. أما بالنسبة لأصدقائي في جامعة "كامبردج" فإني اكتب هاهنا كل عبارات الشكر لمساندتهم.اشكر "بول بريندا" و "ميشال تيموغيلمور و"بول هيمسني" و"لويس ورغاف" على قراءة عملي بشكل نقدي. شكري يتوجه كذلك إلى الأصدقاء الذين عرفتهم بفضل اشتراكنا في الاهتمام بمدرسة فرانكفورت وساعدوني بنصائحهم: "ماتياس بيكر"(Matthias Becker)"ايدوارد برسلين" (Edwaerd Breslin) و"سوزان بيك" (Sussan Buck) ولقد استفدت كثيرا من حواراتي مع أساتذة مهتمين بالمدرسة مثل: "ايفرتهيغس" (Everett C. Hughes) "جورج لشتهايم" (George Lichteim) و"ادلف ليو" (Adloph Lowe) و"كيرت وولف" (Krut H. Wolff).

ورغم الوقت القصير الذي قضيته إلى جانبهم فلقد عرفت مع أصدقائي في جامعة "كمبريدج" كيف إن الجماعة العلمية لها الأهمية في نحت المعرفة وإعطائها الحياة. بمساهماتهم في جعل هذا الكتاب على أفضل ما يكون اذكر هنا كذلك تعليقات "فراي غالهون" (Fryar Calhoun)"جيرالد فالدمان" (Gerald Feldman) "صمويل هربر" (Samuel Harber)"مارتن ماليا" (Matin Malia) نيكولاس ريناسوفيسكي (Nicholas Riasanovsky).وأريد هنا أن اشكر كذلك "وليام فيليب"(William Phillips) من دار النشر "ليتل"(Little) ففطنة الناشر كانت ذات فائدة كبيرة لي. دون أن انس الإعانة المالية لمؤسسة "دونفروث" (Danforth) التي استفدت منها في سنوات عملي .

أتمنى أن لا تكون هذه اللائحة من الشكر طويلة ذلك لأني أردت أن اظهر أن عمل "الخيال الجدلي" كان عملا جماعي.وإذا وفقت فمن هذه الجماعة وإذا كان هناك من تقصير فمني وأنا المسؤول عنه.

الهوامش والإحالات :

فليكس فايل:(Félix José Weil) (1898-1975) يهودي ألماني ماركسي مولود بالأرجنتين ابن تاجر الحبوب الثري: "هيرمن فايل" (Hermann Weil) تحصل "فليكس فايل" على دكتوراه في العلوم السياسية بأطروحة بعنوان: "محاولة نقدية للأسس المفهومية للاشتراكية" في سنة: 1923 وبدافع هذه الميول الفكرية التي يتقاسمها مع والده مول: "أسابيع أعمال الماركسية الأولى" التي كانت تضم: ("جورج لوكاتش"، "كارل كورش"، "ريشاردسورج"، "فريدريك بلوخ"، "كارل فيتفوغل"..) نجاح الحلقات دفعهما لتأسيس معهد البحوث الاجتماعية بتحفيز من "فريديركبلوخ" في نهاية 1923 بفرانكفورت ألمانيا **(المترجم).

*يميز "توم **بوتومور**" في كتابه: "**مدرسة فرانكفورت**" بين أربع مراحل في تاريخ "المدرسة" وهي: **المرحلة الأولى:** بين عامي 1923- 1933، **المرحلة الثانية:** هي مرحلة المنفى ما بين عامي 1933- 1950، **المرحلة الثالثة:**تمتد من 1956 إلى بداية السبعينات، أما **المرحلة الرابعة:** بعد موت "أدورنو" 1969و"هوركايمر" 1973 إلى اليوم **(المترجم).**

**كريشهايمر: من مواليد 11 نوفمبر 1905 وتوفي في 22 نووفمبر 1965 بنيويورك هو قانوني وسياسي ألماني من أصول يهودية عرف بانتمائه للحزب الاشتراكي كما عرف بعدائه الشديد للحزب النازي منذ تأسيسه وبعد صعوده إلى السلطة فر إلى باريس أين درس مع "معهد البحوث الاجتماعية" وسيلحق بالمعهد بعد هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1937 أين كانت أعماله النظرية حول الدولة والمؤسسة، من أهم مؤلفاته: "فايمار ....وماذا بعد؟" برلين 1930، "السياسة والعدالة" 1961، "السياسة والمؤسسة" فرانكفورت، 1964.

iMartin Jay, L'Imagination dialectique, L'école de Francfort (1923-1950)
Traduit de l'Anglais (Etats-Unis) par E. E. Moreno et A. Spiquel
Genre :Philosophie Collection : Critique de la politique, Préface de : Max Horkheimer, avant-propos,1973, Paris, p 07/08.

*الاغتراب: (alienation) من الأصل اللاتيني (**Latin** : alienus) الذي يعني: المملوك لأخر، واستعملها هيجل: ثم "ماركس" بمعنى: الانفصال الوجودي والنفسي والاجتماعي للسلعة عن منتجها البروليتاري، فتتحول السلعة الى مادة منفصلة عن صانعها، (المترجم).

**الطلائع (الطليعة) وهو مصطلح عسكري اشتهر منذ الثورة الفرنسية يقصد به: مجموعة من الجنود تبعث قبل الجيوش لمهمة الاستطلاع وتأمين الطريق، وتسهل تقدمهم، أما في ثقافة فيقصد به حركة أو مجموعة من المبدعين المجددين (داخل الفكر والأدب وغالبا تستعمل في الفن كالددائية مثلا:dadaïsme) ويقابل هذا المصطلح مفهوم الأكاديميين (l'académisme.) المحافظين، بداية من سنة 1920 اخذ المفهوم منحا دقيق مع الشبيبة الاشتراكية في فرنسا فأصبح يشير إلى نخب يسارية تقاوم الرأسمالية. (المترجم).

*** الفلسفة الوجودية: تميزت هذه الفلسفة بالتزامها وانخراطها الاجتماعي والسياسي للدفاع عن الإنسان وأبز الأمثل على ذلك الفيلسوف الفرنسي "جون بول سارتر".

* حركة فلسفية تشكلت حول المنطق المعاصر واللغة، من مؤسسيتها "برتراند رسل" و"غوتلوب فريجه" ويستعملها الكاتب هنا بمعنى أنها فكر محافظ قتل كل حركة فكرية نقدية وافرغ الفلسفة من شحنتها المعارضة.

** الثقافة المضادة (contreculture)هي مجموع المظاهر الثقافية التي تبرز معارضتها للثقافة السائدة؛ إي أنها ثقافة تقف موقف الاحتجاج من ثقافة المجتمع المهيمنة، المفهوم ظهر في علم الاجتماع سنة 1969مع الأمريكي Theodore Roszak "تيودور روزاك"(2011/1933) وفي سنوات السبعينات أصبح المفهوم يدل على حركة الاحتجاج الشبابية والنسوية ضد الثقافة البرجوازية وإكراهها الجنسي (المترجم).

iiالنقد الذاتي (auto critique) تقليد في الفلسفة الألمانية أرسى دعائمه الفيلسوف: "ايمانويل كانط" في ثلاثيته الشهيرة: "نقد العقلّ، ولقد تبناها فلاسفة المعهد بداية من مراجعة الماركسية وصولا عند "ماكس هوركهايمر" في كتابه: "النظرية التقليدية والنظرية النقدية "، إلى ضرورة المراجعة النقدية الذاتية للنظرية كلما فرض الواقع ذلك للمحافظة على دينامكيتها الجدلية. (المترجم).

*اليسار الجديد: وهي حركة سياسية واجتماعية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية بأكثر دقة، أعطت لنفسها اسم اليسار الجديد لتتميز عن اليسار القديم الماركسي لكنها تتفق معه في العداء للامبريالية العالمية والرأسمالية التي ظهر فشلها في القضاء على: الفقر والتمييز العنصري، الظلم الاجتماعي...الخ(المترجم).

*العبارة مذكورة بالفرنسية حتى في النص الأصلي الانجليزي، ويقصد بها: العودة بالتجمع الإنساني إلى الحالة البدائية الأولى أو الحنين إلى الطبيعة الأم، وهي حالة يشعر بها الإنسان المعاصر يتوق فيها للعودة إلى أحضان الطبيعة الأصل(المترجم).

[iii]الشاعر الايرلندي "يات" (**William Butler Yeats**) (1865-1939) حائز على جائزة نوبل 1923، العبارة مقتطفة من قصيدته: "الاختيار" (the choice /1932).

Scylla**"سيليا" في الميثولوجيا الاغريقية هي حورية حولتها الآلهةإلى وحش بحري (كما يقول المثل العربي : كالمستجير من الرمضاء بالنار) الجزر الايطالية الصقيلية موجودة بمضيق، واسم سيليا مرتبط دائما بشاربيد في الأساطير اليونانية كانت شاربيد ابنت الالهة بوسيدون اله البحر وغايا (الأرض) أصبح دوامة وسط البحر يبتلع ماء البحر بسفنه وبحره ثم يتقيؤه ونجد انه في الاوديسا يختار الوليس عندما يمر بالمضيق فله حيارين اما سيليا او شيربادأما فقدان 06 من طاقمه أو يغامر بكل السفينة بأكملها فالوحشين الموجودين بين طرفي المضيق(المترجم).

[iv]فيما سيأتي سنتكلم بدون تمييز بين: "**معهد العلوم الاجتماعية**" و"**مدرسة فرانكفورت**" بالنسبة للفترة قبل 1933 ليكن في العلم أن فكرة مدرسة لم تتبلور إلا بعد أن تم إجبار المعهد على مغادرة فرنكفورت (فالعبارة "مدرسة فرانكفورت" لم تستعمل إلا بعد عودة المعهد إلى ألمانيا سنة 1950) سنرى في الفصل الأول لهذا الكتاب أن المرجعية الماركسية لمرحلة: "**فايمار**" (weimar) ليست مشركة بين أعضائه مما يصعب على المؤرخ أن يحدد هوية الموقف النظري للمعهد لهذه الفترة وبالنسبة لمدرسة فرانكفورت عامة، كما ستتبلور خلال السنوات اللاحقة....وعدم القدرة على التمييز بشكل كافي وواضح لمرجعية المعهد في مرحلة حكومة "فايمار" أو ما سيسمى مدرسة فرانكفورت لاحقا، عكست استياء لبعض المتابعين لتاريخه، انظر مثلا: "بيتر غاي" Petr Gay، { ثقافة فيمار: من الداخل والخارج (نيويورك 1968)} أين يقدم المعهد في فترة حكومة فيمار بطريقة تهكمية؛ كمجوعة هيجليين يساريين لا أكثر.

* فتح هوكهايمر مع بعض الأعضاء فروعا للمعهد في سويسرا وباريس ولندن وأخيرا بجامعة كولومبيا، لكن المناخ الثقافي في الولايات المتحدة لم يكن متسامحا مع الفكر الماركسي.

[v] "هربرت ماركيوز": "النفي: محاولة في النظرية النقدية" بوسطن 1968. يحتوي في جزء منه على مقالات حررها في ألمانيا تحت عنوان: "الثقافة والمجتمع" فرانكفورت 1965، ترجم إلى الفرنسية بشكل غير كامل في منشورات مينوي(minuit) باريس 1970.

[vi]"ماكس هوركهايمر": النظرية النقدية، تحت إشراف: الفريد شميت، فرانكفورت1968، ترجم إلى الفرنسية بشكل جزئي.

vii"فالتر بنيامين": **الكتابات**، تحت إشراف "تيودور أدورنو" و"غريشومشولوم" (فرانكفورت 1955). وكتاب "أدورنو": "**ورشات عمل**" (فرانكفورت 1955) (لندن

1967)، وكتاب: "**محاولات حول فاغنر**" باريس دار النشر غاليمار 1966، "**الموسيقى في عالم المتغيرات**" (فرانكفورت 1956). "ليو ليفينتال": "**الأدب وصورة الإنسان**" (بوسطن 1957)، **الأدب الشعبي والثقافة والمجتمع**، 1961. "فرانز نومان" "**الديمقراطية والدولة التوتاليتارية**"، اشرف عليه هربرتماركيوز" (نيويورك 1957). إضافة إلى بعض الشذرات لأعضاء قدماء من المدرسة فيمكن أن نذكر "اريك فروم" "**أزمة التحليل النفسي**" (نيويورك 1970) (ترجم إلى الفرنسية سنة 1971 بباريس)، اوتو كريشهايمر: **قانون السياسة والتغييرالاجتماعي**" و"ليو لفينتال"**الفن السردي والمجتمع**" برلين 1971.

*الكلمة مركبة من السادية والمازوخية وهما مرضان نفسيان حسب فرويد يرتبط الأول بحب ايلام الآخرين والثاني بالتلذذ بتعذيب الذات لنفسها، ويشار هنا إلى العمل الذي قام به ايريك فروم:

*هنريك غروسمان: Henryk Grossman (1881-1954) اقتصادي ومؤرخ جرماني بولوني ماركسي من أصول يهودية درس في فيينا والتحق بالحركة الاشتراكية سنة 1898 سنة 1925 يلتحق بمعهد البحوث الاجتماعية برانكفورت تحت طلب أستاذه كارل غرنبرغ (Carl Grünberg) يغادر ألمانيا سنة 1930 ويعود اليه سنة 1949 ليصبح أستاذ الاقتصاد بجامعة لايبزغ ويصفه ماركيوز في مقابلة:ماركوزه ومدرسة فرانكفورت انظر: http://radicaly.net/falling-

viii الأسماء مجموعة في كلمة الشكر للكتاب: وهي (ليو ليفينتال، ماكس هوركهايمر..).

*الفيلم الياباني "راشومون" 1950 حائز على "أوسكار" أحسن فيلم أجنبي سنة 1951 في أمريكا، يروي أحداث محاكمة معقدة حول جريمة قتل يحكي فيها مجموعة من الشهود قصص جد مختلفة ومتناقضة، ويراد من ضرب المثل بهذا الفيلم، صعوبة الوصول إلى الحقيقة وارتباك الذهن أمام تعدد وجهات النظر (المترجم).

*تجربة النفي: يجتمع الكل على أن بدايتها كان غلق المعهد سنة 1938 لأسباب الانتماء لليهودية والماركسية مع مرحلة في سويسرا ويختلفون في بدايتها فكانت عند "ادورنو" سنة 1938 و"هوركهايمر" سنة 1933 وماركيوز1932 ..الخ، كما يختلفون في نجاحها "فالتربنيامين" كانت بالنسبة له كارثية حين لاحقة الجيش النازي ولم يهمله الهروب فانتحر على الحدود الاسبانية مخافة إلقاء القبض عليه سنة 1940، وحتى نهايتها كذلك مختلفة فالبعض عاد في حين أن "ماركيوز" مثلا فضل البقاء في أمريكا.

**Martin Jay,L'Imaginationdialectique, L'école de Francfort (1923-1950)

Traduit de l'Anglais (Etats-Unis) par E. E. Moreno et A. Spiquel Genre :Philosophie Collection : Critique de la politique, introduction, 1973, Paris,pp 07-14.

*Karl August Wittfogel (1896-1988), Paul Massing (1902-1979), Ernst Schachtel(1903-1975), Olga Lang , Gerhard Meyer (1984-1900), M.I. Finley Et Joseph Et Alice Maier (2002-1911).

*كاربليسكرتيلأدورنو (KarplusGretel Adorno) من مواليد 1902 ببرلين ألمانيا، توفيت في 16 جويلية 1993 بفرانكفورت كيميائية ومقاولة من أصول نمساوية كانت مثقفة وفي علاقة مع مفكرين كثر أمثال:"فلتر بنيامين" و"ارنست بلوخ"و"هاربرت ماركيوز" والتقت "بادورنو" سنة 1923وتزوجته سنة 1937 بلندن توجها في سنة 1938إلى الولايات المتحدة تم عادا إلىألمانيا سنة 1949 ولقد شغلت منصب مساعدة بمعهد البحوث الاجتماعية بفرانكفورت وبعد وفاة زوجها سنة 1969 حاولت الانتحار وكان لها الفضل في إصدار بعض أعمال "أدورنو" و"فلتر بنيامين".

*من مواليد 1916 بنيويورك وتوفي بكاليفورنيا سنة 1999 أستاذ التاريخ بجامعة "هارفرد"ومهتم بتاريخ الأفكار في أوربا خاصة الاقتصاد السياسي والفرويدية، أتقن الفرنسية والألمانية واهتم كثيرا بالتحليل النفسي،أهم كتبه: "الوعي والمجتمع: إعادة توجيه الفكر الاجتماعي في أوربا"، كمبردج جامعة هارفرد، 1958.